Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاستعادة المتواصلة لماضي الحياة الشخصية، قصد بناء هويتها الذاتية في الزمان والمكان، فإنها، في واقع الأمر، قد حققت على مستوى الجوانب المذكورة (الذات/الحقبة، الذات/العلم، الذات/التحصيل) شيئا كثيرا مما يمكن الاستئناس به على قوة الحافظة وجدارتها في الاستذكار، تلك التي جعلت من الماضي ميدان تجربة حياتية خصبة، ومن المفهوم أنها جعلت من مواده العامة (الذكريات، الأحداث، الوقائع) أيضا، عناصر بنائية رامزة، تعبر، مجتمعة، عن الوجود الذاتي. وليس من الضروري، مع ذلك، أن نتقيد بأطروحة السيرة الذاتية كملفوظ فقط، لأن محددات الإسم العلم (محمد المختار السوسي في هذه السيرة)، من خلال القرائن الموازية التي تكشف عنه (مؤلفات، مشاركات، وضعية اجتماعية...)، تدلنا على نقيضها، أي أن المختار السوسي كان صاحب ذاكرة خصبة، وأنه ارتقى في العلم درجات بوأته مكانة مرموقة بين علماء عصره، وأن مؤلفاته تشهد على سعة اطلاعه وعمق تحصيله.

يمكن أن نرى في النسيان ذاكرة أخرى متمنعة، لا تصلنا بما تختزنه من أفعال ومشاهدات بطواعية ويسر. ومن الممكن أن نعرّف النسيان بما لا نرغب في استذكاره أصلا، وهو، على نحو ما، مراوغة وليس محوا. ويبدو لي أن ما قاله Marina من أن عملية الاستذكار هي إنجاز فعل يكون الهدف منه وضع معلومة نتوفر عليها في حالة وعي [1] أقرب من حيث التفسير لبيان وتأويل ما لا نستذكره ونحن نقوم باستعادة الماضي واستحضار أحداثه وفصوله.

ولذلك وجب الحديث هنا عن استراتيجية الذاكرة في التذكر، بالمعنى الذي يفيد أن عمليتي استبعاد أو استحضار هذه الذكرى أو تلك، تستجيبان لوعي المؤلف الذي يكتب سيرته الذاتية، من حيث الرغبة أو عدمها من ناحية، كما من حيث حضور أو غياب مواضعات الجواز أو المنع من ناحية أخرى. يستوي في العمليتين معا الوعي أو اللاوعي، الحبور أو النفوز، الإقبال أو الإدبار.

ليس المطلوب من السيرة الذاتية، وهي تستعيد الماضي الحياتي، أن تكون وفية لوقائعه وأحداثه وذكرياته، ومسألة الوفاء هنا يجب النظر إليها من الزاوية النصية، أي من خلال اللغة التي تعيد صياغة مباني الذاكرة اعتمادا على ما بقي من الذاكرة «الأصلية» في الزمن الماضي. إن ذاكرة النص، بهذا المعنى، حصرية لا تتعدى ما أنجزته على وجه الصياغة الأدبية، مثلما لا يجوز البحث عن معادل واقعي لها إلا على سبيل

1- Teoria de la inteligencia creadora, op. cit. p. 128